



Albaydha
Albaydha.sa

سلسلة
مقالات
نقدية

V

خرافة العقل الباطن

للكاتبة: نسرین بنت علي الجطيلي

باحثة دكتوراه بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.



احذر



طبعة منقحة
وتشتمل على
تعليقات
من المؤلف
لم تنشر من قبل

احذر



احذر



احذر



مقال نقديّ لكتاب:



قوة عقلك الباطن

الكاتب:

جوزيف ميرفي
Joseph Murphy

كاتب إيرلندي درس «الكهنوت» وانضم إلى كنيسة العلم «اللاهوتي» التابعة لحركة الفكر الجديد. يُعد من أكبر رموز حركة «القدرات الكامنة».



في تسعينات القرن الماضي راجت فكرة القوى الخارقة للعقل الباطن وقدراته اللامحدودة، حتى قيل إن أعظم اكتشافات القرن هو اكتشاف قوة "العقل الباطن"، وقد لاقى هذه الفكرة قبولاً وانتشاراً كبيراً؛ فُصّفت المؤلفات لبيانها، وأقيمت البرامج والدورات لتعليمها والتدريب عليها.

ومن أبرز الكتب التي روجت لهذه الفكرة: كتاب (قوة عقلك الباطن) لـ(جوزيف ميرفي)، الذي لاقى قبولاً واسعاً، فترجم للغات عدة، وتصدر قائمة أعلى الكتب مبيعاً محلياً وعالمياً.

مؤلف الكتاب هو: (جوزيف ميرفي) كاتب إيرلندي درس الكهنوت، وانضم إلى كنيسة العلم اللاهوتي التابعة لحركة الفكر الجديد، ويعد من أكبر رموز حركة القدرات الكامنة، توفي عام (١٩٨١م).

يبدأ (ميرفي) الكتاب بمقدمة يعرض فيها همومًا مشتركة وأسئلة تشغل أذهان كثيرٍ من البشر، فيتساءل: "لماذا يوجد إنسان سعيد وآخر حزين؟ ولماذا يوجد إنسان فرح وثرى وآخر بائس فقير؟ ولماذا هناك إنسان خائف وقلق وآخر مليء بالثقة والإيمان؟ ولماذا يوجد إنسان يملك منزلاً فخماً وجميلاً، بينما يوجد إنسان آخر -بالكاد- يحيا في حي مزدحم فقير؟"^١

السبب برأيه -وهو الدافع لتأليف هذا الكتاب- يرجع إلى التفاوت في استخدام القوى الخفية للعقل الباطن! حيث يرى أن هناك كنزاً عظيماً، ومنجماً هائلاً يكمن في داخل النفس البشرية... قوة عجيبة تستطيع أن تصنع المعجزات،

^١ قوة عقلك الباطن، جوزيف ميرفي، ص ٢.



وتحقق الأمنيات، وتُحصّل الرغبات وتكسر جميع الحواجز والقيود، إنه العقل الباطن!

نعم يا سادة، إنه العقل الباطن!

يقول (ميرفي): "ما هو السر الأعظم لكل العصور... السر هو تلك القوة العجيبة الموجودة في عقلك الباطن التي تحقق المعجزات"¹. ويقول: "تكمن في أعماق عقلك الباطن حكمة لا حدود لها وقوى مطلقة ومخزون لانهائي"². قبل أن نبدأ بقراءة نقدية لكتاب (قوة عقلك الباطن)، لنقف قليلاً مع هذا المصطلح.

"العقل الباطن": مصطلحٌ ذاع وانتشر حتى ألفته المسامع واعتاد عليه المتلقي، بدأ في مجال تخصصي ضيق إلا أنه توسع وانتشر حتى خرج من حيزه التخصصي العلمي إلى حيز فلسفي يصادم المعاني الشرعية والثوابت العقدية الصحيحة.

وبدراسة فاحصة لـ"العقل الباطن" نجد أنه مصطلح رديف لما يعرف بـ"اللاشعور" أو "اللاوعي"، المفهوم المركزي في مدرسة (التحليل النفسي)، الذي قدمه النمساوي (سيجموند فرويد) إلى الأوساط الطبية والنفسية محدثاً بذلك ثورةً في مجال علم النفس الغربي، مصحوبة بصدمة جديدة للبشرية -كما يزعم- مفادها: أن المتحكم في حياة الإنسان ليس

¹ قوة عقلك الباطن، ص ١٠.

² المرجع السابق، ص ١١.



"الشعور" كما هو معروف، وإنما جزء خفي في الجهاز النفسي¹ أطلق عليه "اللاشعور".

وهذا "اللاشعور" -كما يعرفه (فرويد)- هو الطبقة الرئيسية الأعمق والأخطر من الجهاز النفسي؛ حيث يشمل القوى الموجهة للتفكير والنشاط، ويحتوي على الميول والغرائز التي تسيطر على سلوك الفرد، ومن ذلك: [الصدمة المنسية في مرحلة الطفولة -المشاعر العدوانية المخفية تجاه أحد الوالدين - الرغبات الغريزية المكبوتة - الذكريات]؛ وكل ما يعتري الإنسان من أمراض ومشاكل عضوية أو نفسية أو عقلية يرجع سببها لما يُخزن ويكبت في (اللاشعور) حسب ما يرى.

إلا أن هذه الآراء حول ما يتعلق بـ "اللاشعور" قوبلت بالرفض والنقد من الأطباء وعلماء النفس؛ فحسب تعبيراتهم أن "الوهم اللاشعوري" اصطلاحٌ مرفوض، وقول مهلهل مردود، يتسم بالغموض والقصور، وهو مستعصٍ على الاختبار العلمي والتحقيق التجريبي، ويقوم على نسيج من السفسطة؛ لأنه وبحسب موازين المناهج العلمية الحديثة وبعيداً عن دهاليز الفلسفة؛ فإن هذه الفرضية تفتقر للثبوت العلمي وللدراسة المنهجية الصحيحة، إضافة إلى أنها لا تعدو عن كونها إحياءً لفلسفات قديمة وتكراراً لأقوال فلاسفةٍ قداماء.

¹ افترض (فرويد) وجود جهاز نفسي للإنسان ينقسم إلى ثلاث مستويات هي: (الشعور، ما قبل الشعور، واللاشعور). هذه التقسيمات قد تسمى كذلك (مكونات العقل البشري)، إلا أن هذه التسمية قد جاءت من أتباع (فرويد) وليس منه، فلا توجد هذه التسمية في مؤلفاته وكتابات، فهو في كل أفكاره وآراءه يفترض التعامل مع الجهاز النفسي وليس العقل البشري.



فمن أهم الإشكالات المنهجية؛ أن هذا المفهوم " مفهوم فضفاض " غير قابل للتعريف الإجرائي العلمي الدقيق، الذي يضبط دلالاته الاصطلاحية، ويرسم حدوده الإجرائية والوظيفية والتي تمنع تداخله مع المفاهيم الأخرى، وبسبب هذه الإشكالية أصبح هذا المفهوم لبوسًا واسعًا فضفاضةً، وغطاءً علميًا زائفًا مررت من خلاله الأفكار الفلسفية الباطلة.

هذا -باختصار- الرأي العلمي الدقيق¹ حول مفهوم "اللاشعور"، المفهوم الرديف للعقل الباطن.

إلا أننا إذا نظرنا إلى واقع الحال قديمًا وحديثًا؛ نجد أن هذه الفرضية -على الرغم من ملاقاتها الرفض في الأوساط العلمية ابتداءً- قد حظيت بقبولٍ واسعٍ وانتشارٍ عريضٍ خصوصًا بعد انضمام (فرويد) إلى جمعية (بناي برث) اليهودية، والتفاف مجموعة من المثقفين والأدباء اليهود وغيرهم حوله، وإعجابهم الشديد بآرائه. فبعد أن رُفضت أبحاث (فرويد) النفسية في المجالس الجامعية؛ نجد أن ذات الأفكار صُدرت على أنها حقائق علمية ثابتة لا تقبل الشك أو المراجعة! وذاع صيتها حتى إنها تعدت الأوساط النفسية والعلمية؛ لتغزو المجالات الأدبية والاجتماعية والدينية والإعلامية.

ظل هذا المفهوم ولا يزال مقبولاً في أوساط علم النفس؛ إلا أنه وبسبب الإشكالات والثغرات المنهجية الكبيرة؛ نجد أنه قد اختلف وتغير (مفهومًا، ودلالةً، ووظيفةً). وتم استغلاله -مع هذا الاختلاف- لتمرير فلسفات متنوعة، ومن أبرز من استغل هذه الثغرات تلامذة (فرويد) المهتمين بالفلسفات

¹ هناك العديد من الإشكالات المنهجية العلمية التي نص عليها المتخصصون يضيق المجال لذكرها في المقال.



الشرقية، وعلى رأسهم الغنوصي الروحاني (كارل غوستاف يونج) التلميذ المنشق عن أستاذه، والمؤسس لمدرسة (علم النفس التحليلي)، والأب الروحي لحركة (العصر الجديد)؛ حيث أضاف مفهوم "اللاشعور الجمعي"؛ فادعى أن من مكونات الشخصية: "اللاشعور الشخصي، واللاشعور الجمعي"، وهذا الأخير هو لاشعور تُخترن فيه الخبرات الماضية المتراكمة عبر الأجيال والتي مرت بالأسلاف القدامى والعنصر البشري عامة -كما يزعم-، فهو حصيلة المعارف والخبرات الروحانية للبشرية جمعاء؛ التي تُمنح للإنسان منذ ولادته، فالمعلومات ليست خاصة بالفرد بل تعم خبرات غيره من البشر عبر الأزمنة، ومن خلال الاتصال بهذا الـ "لاشعور الجمعي" يمكن للإنسان أن يصل لما أسماه بـ "الوحدة" ليخرج من حالة "التفرد" إلى حالة "الكمال"، في تجسيد واضح وصريح لعقيدة وحدة الوجود.

هذه الإضافة من (يونج) فتحت الباب على مصراعيه أمام مطوري الفكرة من أتباع حركة (العصر الجديد)، فكان هذا المفهوم أحد الركائز الأساسية لترويج المفاهيم والأفكار والممارسات الروحانية، حيث إنها تخدم عقيدة مركزية من عقائد الحركة ألا وهي عقيدة وحدة الوجود؛ فالإنسان -حسب ما يدعون- يتدرج بالارتقاء بوعيه الفردي لينتهي إلى التواصل والاتحاد بالوعي الجمعي أو العقل الكلي أو المصدر -على اختلاف تعبيراتهم- الذي يسبق وجوده الوجود المادي للكون والبشر.

يتبنى (جوزيف ميرفي) مؤلف كتاب (قوة عقلك الباطن) هذا المفهوم الفلسفي، فيقدمه في كتابه **قائلاً: "إن القوى التي تحقق المعجزات التي يمتلكها عقلك الباطن موجودة قبل مولدك، ومولدي، وقبل وجود أي دار عبادة**



في العالم... ومن خلال هذه الأفكار الموجودة في العقل فإنني أحثك على أن تتشبت بهذه القوى الرائعة والتي لها قدرة تحويلية^١، **ويقول:** "إن عقلك الباطن يمتلك ذاكرة لكل شيء حدث في التاريخ..."^٢.

استغل أتباع حركة (العصر الجديد) هذه الأفكار الفلسفية حول "اللاشعور"، وأضافوا إليها خرافة شهيرة في علم النفس تقول بأن: "معظم الناس لا يستخدمون إلا (١٠٪) فقط من قدرة المخ، وأن القوى الخارقة إنما تكمن في (٩٠٪) المتبقية التي لم يستغلها عامة الناس"^٣.

فزعموا أن للعقل الباطن قدرات لامحدودة؛ حيث إنه يمثل (٩٠٪) من القيمة الفعلية للعقل البشري، فهو خزان التجارب والمعتقدات والمواهب والصور، يعمل على مدار (٢٤) ساعة، **يقول (ميرفي) مؤيداً هذه الخرافة:** "أكثر من ٩٠٪ من حياتنا هي العقل الباطن، فإذا فشلت في استغلال تلك القوة المذهلة فإنك تحكم على نفسك بالحياة داخل حدود وآفاق ضيقة"^٤.

وبتبنى هذه الخرافة تكتمل صياغة التصور الفلسفي عن (اللاشعور) وتنتشر تسميته بـ "العقل الباطن"^٥؛ وبذلك يتحول المفهوم النفسي الذي وضعه (فرويد) بعد أن مرّ بقنطرة (يونج) إلى المفهوم الفلسفي؛ فبعد أن كان

^١ قوة عقلك الباطن، ص ٧.

^٢ المرجع السابق، ص ١٧٥.

^٣ يُراجع في تفنيد هذه الخرافة كتاب (أشهر ٥ خرافة في علم النفس)، ص ٤٩-٥٤.

^٤ قوة عقلك الباطن، ص ١٧.

^٥ إن إطلاق لفظ "العقل" على هذا المفهوم هو من باب التجويز والتبسيط فهو ليس عقلاً ولا شيئاً مما يشبه العقل، وهو ليس جهازاً نفسياً محسوساً له خصائص ووظيفة خاصة؛ فهذا العقل ليس له وجود مادي، بل هو حيز ذهني تجتمع فيه العقد النفسية والرغبات المكبوتة من ناحية، ومن ناحية أخرى يحتوي الصفات الحسنة والجيدة والمحفزة فهو بالتالي مصدر للشر والخير معاً -حسب ما يزعمون-.



"اللاشعور" -حسب رؤية فرويد- لا يخضع لإرادة الإنسان، ولا سيطرته المباشرة، ومصدرًا للأمراض النفسية، ومكمنًا للرغبات المكبوتة والخبرات الماضية الخاصة بمكتسبات الفرد، أصبح الآن كنزًا ثمينًا في أعماق النفس البشرية، وقوة ميتافيزيقية روحية عظيمة، ذو قدرة هائلة وطاقات لامحدودة وذلك لا نهائي، ومنبعًا للعبقرية والحكمة والإلهام والقدرات الخارقة الخفية (كالاستبصار، والكشف، والحدس، والإدراك المتجاوز للزمان والمكان) -حسب ما يزعمون ويروجون- وهذا ما يجسده (ميرفي) في كتابه، فيرى أن "العقل الباطن" هو:

- مصدر العلم الذي لا حد له، والقوة التي لا تغلب، **يقول: "تكمُن في أعماق عقلك الباطن حكمة لا حدود لها وقوة مطلقة، وإمداد لا نهائي لكل ما هو ضروري، والتي تنتظر من يخرجها من مكمنها"**^١.

- ومصدر للحكمة والمعرفة والإلهام، **يقول: "تأكد من قراءتك لهذا الكتاب عدة مرات وسوف تشرح لك الفصول العديدة كيف تعمل هذه القوة الرائعة، وكيف يتسنى لك إخراج الإلهام والحكمة الكامنة في داخلك"**^٢.

- ومن خلال "العقل الباطن" يمكن الاتصال مع الله -تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا- **فيقول: "إن عقلك الباطن على اتصال دائم بالله، وعلى وعي بحكمته المطلقة، وتتجه دوافعه وأفكاره دائمًا نحو الحياة والطموحات العظيمة، والدوافع والتطلعات لحياة أفضل وأنبى تنبثق من العقل الباطن"**^٣.

^١ قوة عقلك الباطن، ص ٣.

^٢ المرجع السابق، ص ٤.

^٣ المرجع السابق، ص ٧. ١.



بل يصل بهم الغلو إلى جعل هذا العقل الباطن هو الخالق المبدع من دون الله -تعالى الله سبحانه-، **يقول:** "إننا نخلق ما نشعر به ونفكر فيه، ونحن نضع ما نؤمن به!"^١.

- ومن خلاله يمكن الاطلاع على الغيب، وتجاوز الحدود المادية وحدود الزمان والمكان، **فيقول:** "يشار -في أحوال كثيرة- إلى عقلك اللاواعي بمصطلح آخر وهو العقل الداخلي... ويرى عقلك الداخلي بدون حاسة البصر الطبيعية، فهو يمتلك القدرة على رؤية كل ما هو واقع وراء نطاق البصر، وهو ما يطلق عليه (الاستبصار أو حدة الإدراك)، ويمكن لعقلك الباطن أن يغادر جسدك ويسافر إلى أماكن بعيدة، ويجلب -في أحيان كثيرة- معلومات دقيقة وحقيقية تمامًا. ومن خلال عقلك الباطن تستطيع أن تقرأ أفكار الآخرين، وتقرأ محتويات الخطابات والخزائن المغلقة. ولدى عقلك الباطن القدرة على أن يعي ويفهم أفكار الآخرين بدون استخدام وسائل الاتصال العادية الظاهرة"^٢.

وللوصول إلى أكبر قدر ممكن من الاستفادة من قدرات العقل الباطن والتحكم بطاقاته الكامنة ووظائفه يروجون لما يسمى بـ (قوانين العقل الباطن)؛ فمتى عرفها الإنسان أمكنه استغلال قدرات العقل الباطن.

فيذكرون أن هناك (٢٧٦) قانوناً لـ "العقل الباطن"، تقوم هذه القوانين بتحديد طريقة تعامل الشخص مع عقله، ومن ثم تطويعه لتحقيقه الأهداف، ومن أهم وأبرز هذه القوانين: [قانون التفكير المتساوي- قانون الانجذاب- قانون المراسلات- قانون التركيز- قانون التوقع- قانون الاعتقاد- قانون التراكم-

^١ قوة عقلك الباطن، ص ١٥٤.

^٢ المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.



قانون العادات- قانون الفعل ورد الفعل أو قانون السببية أو قانون السبب والنتيجة- قانون الاستبدال].

يطرح (ميرفي) هذه القوانين مبعثرة في طيات الكتاب مع التركيز على قانون: [الاعتقاد، الانجذاب، التركيز]؛ فيؤكد على أن الإيمان بهذه القوانين كفيل بتسيير حياة الإنسان وحياة غيره، **فيقول:** "فما هو اعتقادك عن نفسك وعن الحياة وعن الكون؟ إن اعتقادك وإيمانك يجري بداخلك ويتولى تسيير الأمور"^١. **ويقول:** "فكّر في الخير، يتدفق الخير إليك، وإن فكرت في الشر، يأتي ذلك الشر، فأنت رهين ما تفكر فيه طوال اليوم"^٢.

ويقول: "إن الله لا يرسل علينا المرض أو الحوادث أو المعاناة. إنما نحن من نجلب ذلك لأنفسنا بتفكيرنا السلبي المدمر، وذلك وفقاً للمبدأ الذي يقول: ما تزرعه تحصده"^٣.

ومن خلال تسخير هذه القوانين والاستفادة من قوة العقل الباطن يستطيع الإنسان فعل كل شيء من شفاء وثناء وغيره -حسب زعمه-، **يقول (ميرفي):** "تستطيع هذه القوة التي يملكها العقل الباطن لتفعل المعجزات أن تشفيك من المرض وتعطيك الحيوية والقوة من جديد"^٤.

ويقول: "إن قانون الحياة هو قانون الاعتقاد والإيمان، والمعتقد هو فكرة في عقلك. لا تعتقد في أشياء تسبب لك الضرر أو الأذى، يجب أن تؤمن بقوة

^١ قوة عقلك الباطن، ص ٧٧.

^٢ المرجع السابق، ص ٤٤.

^٣ المرجع السابق، ص ٢٤٨.

^٤ المرجع السابق، ص ٣.



عقلك الباطن في الشفاء والإلهام والمساندة، وكل هذا تحصل عليه طبقاً لما تعتقده وتؤمن به"^١.

ويقول: "يستطيع مبدأ الشفاء الكامن في عقلك الباطن إذا تم توجيهه من جانبك أو بواسطة شخص آخر أن يشفي عقلك وجسدك من جميع الأمراض"^٢.

ويقول: "اتخذ قراراً بأن تكون غنياً بأيسر الطرق بالاستعانة بقوة عقلك الباطن التي تسانداك دومًا"^٣.

ولا يقتصر التأثير على حياة الإنسان نفسه بل يتعداه إلى التأثير على حياة الآخرين، **يقول (ميرفي):** "تعلم أن تصلي من أجل من تحبهم عندما يمرضون، اجعل ذهنك صافياً واملأه بأفكار الصحة، والنشاط، والكمال، وكن مؤمناً بتحقيق الشفاء وسوف يتجسد ذلك في جسد من تحب"^٤.

ويقول: "في دعائك وتضرعك وصلاتك من أجل الآخرين، اعلم أن ضميرك الذي يعرف الجمال والكمال يستطيع أن يغير الأنماط السلبية في العقل الباطن لدى الآخرين ويحقق في ذلك نتائج باهرة"^٥.

وعن كيفية التعامل مع هذه القوانين وتسخيرها للتأثير على "العقل الباطن" يروجون لفكرة "برمجة العقل الباطن" للحصول على أفضل ما يريده الإنسان من الصحة، والسعادة، والنجاح، والثراء، وغيره، فتغيير الواقع الخارجي يلزمه تغيير

^١ قوة عقلك الباطن، ص ٢٢-٢٣.

^٢ المرجع السابق، ص ٧٦.

^٣ المرجع السابق، ص ١٣٦.

^٤ المرجع السابق، ص ٨٦.

^٥ المرجع السابق، ص ٧٢.



الواقع الداخلي، والمتمثل في قناعات "العقل الباطن" وأسلوب التفكير، ووجود الرغبة الملحة لتحقيق الأهداف والالتزام بها.

وكل هذا يتم من خلال برمجة العقل الباطن بطرق متعددة من أبرزها ما يلي:
(التخييل - التكرار - الإيحاء)، **يقول المؤلف:**

"إن قوة الخيال المدعم تستحث قوى العقل الباطن القادرة على صنع المعجزات".^١

ويقول: "إذا تخيلت هدفك بوضوح شديد، فسوف تزودك العناية الإلهية بكل ما يلزمك لتحقيقه من خلال قوى عقلك الباطن التي تصنع المعجزات".^٢

ويقول: "كرر كلمة (ثراء) في نفسك، وببطء، وهدوء لمدة خمس دقائق قبل أن تنام، وسوف يظهر أثر الكلمة في حياتك العلمية".^٣

ويقول: "يمكنك زيادة مبيعاتك من خلال تكرار العبارة التالية مرات عديدة: "إن مبيعاتي تتحسن كل يوم، إنني أحقق تقدمًا وازدهارًا وأزداد ثراءً كل يوم".^٤

وحتى لا يغتر القارئ الكريم ويعتقد أن ما يقصدونه هو من باب العمل، والسعي، والكسب، والأخذ بالأسباب، فإن (ميرفي) وغيره يصرحون بوضوح وجللاء بأن قوة التخيل أكبر وأكثر تأثيرًا من قوة الإرادة، فيعقد فصلًا مستقلًا في الكتاب عنون له بـ "قوة التخيل أم قوة الإرادة؟"، ليتدرج مع القارئ ليؤكد

١ قوة عقلك الباطن، ص ١٧٥.

٢ المرجع السابق، ص ١٦٦.

٣ المرجع السابق، ص ٢٢.

٤ المرجع السابق، ص ١٣٧.



له أن كل ما ذُكر في الأساليب والطرق تكون بلا عمل، **يقول: "تكرار التوكيدات قبل النوم بلا عمل"**^١.

ويقول: "استخدم الخيال ولا تستخدم قوة الإرادة"^٢.

وبعد عرض موجز وسريع لمحتوى الكتاب الذي جسد بين دفتيه المفهوم الفلسفي لـ "العقل الباطن"، أختتم بعرض لأبرز أوجه النقد، ومواطن الإشكال والخلل الذي احتواه هذا الكتاب:

أولاً: الإشكالية العلمية:

كما سبقت الإشارة فإن ما يتعلق بالمعنى النفسي لـ "العقل الباطن" من الناحية العلمية لا يعدو عن كونه فرضية غير مثبتة علمياً، يضاف لها إشكال عام ومهم ناتج عن طبيعة الموضوع محل الدراسة وهو النفس البشرية؛ فكل ما يتعلق بها من سلوك وعمليات وانفعالات يصعب قياسه قياساً دقيقاً، وضبطه بالضابط العلمي التجريبي الصحيح كونها (متغيرة ومتشعبة وخفية غير مدركة)؛ مما ينبني عليه أن النتائج التي نحصل عليها تبقى نتائج محدودة ضيقة ويصعب الجزم بصحتها. لذا فإن النظريات الصحيحة في هذا العلم قليلة جداً بل تكاد تكون نادرة، وجل ما فيه يعتبر من الفرضيات، وقبولها في الأوساط العلمية يرجع لقوة ودقة البحوث والتجارب التي خضعت لها.

١ المرجع السابق، ص ٩٧.

٢ المرجع السابق، ص ١٢٠.



وهذا ما يصرح به مروجو هذه الفكرة، فيذكرون أن ما يتعلق بقوانين العقل الباطن -مثلاً- إنما هي فرضيات لم ترق إلى درجة التسليم العلمي، حيث إنهم يرون أن الحقائق العلمية نسبية، وخصوصاً في العلوم الإنسانية، فهذا العقل لامادي، بالتالي لا يمكنهم إخضاعه للتجربة العلمية المباشرة؛ لأنه لا يمكن رؤيته فيُكتفى بدراسة آثاره المادية المحسوسة فقط -كما يزعمون، وكما زعم فرويد من قبلهم-.

وهذا الكلام -وإن كان أوله صحيحاً كما أشرنا-، إلا أننا لا نسلم بآخره؛ فصحيح أن طبيعة الدراسة في العلوم الإنسانية عمومًا والنفسية خصوصًا صعبة، وتختلف عن الدراسات في العلوم التجريبية؛ لأن جزءًا منها خفي لا يمكن الوصول إليه -إلا من خلال مصدر معرفي صحيح-، إلا أن هذا ليس مبررًا للاكتفاء بدراسة الأثر أو القياس على التجارب الشخصية.

وهذه الإشكالية إشكالية فلسفية قديمة، وهي "تفسير اللامادي بالماضي"، وما نوجهه لمروجي هذا الفكر من انتقاد في هذا الجانب سبق وتم توجيهه لـ (فرويد) حين عرض أفكاره حول (اللاشعور).

فكما أنه لا يمكن إخضاع اللاماديات واللامحسوسات للتجربة العلمية والبحث المخبري؛ كذلك لا يمكن الاعتماد في إثباتها على قياس الأثر، والتجربة الشخصية، بل لابد من الاعتماد في استمداد المعلومات المتعلقة بها على مصدر معرفي خاص يختلف عن المصادر المعرفية القاصرة؛ (كالمصدر العقلي أو الحسي) أو المصادر المعرفية الخاطئة كـ(المصدر الباطني الغنوصي العرفاني)، وهذا المصدر الصحيح الذي يجب الاعتماد عليه هو الخبر الصادق (الوحي) الذي يمدنا بالمعارف الغيبية عمومًا، وما يتعلق بالنفس البشرية على



وجه الخصوص، فهو المصدر الصحيح الذي لا يدخل فيه الخلل أو الخطأ، بالتالي لا يمكننا التسليم أو قبول أي معلومة تتعلق بخفايا هذا النفس البشرية إلا بدليل علمي صحيح أو خبر صادق صريح.

وهذا الجانب هو مجال الخلط عند الكثيرين؛ وهو الاستدلال على وجود "العقل الباطن" (اللامادي) من خلال مشاهدة وقياس واختبار بعض العمليات العقلية مثل (الإدراك والحفظ والتذكر والربط وغيرها)؛ فهذه العمليات يمكن قياسها وإخضاعها للتجربة كونها مرتبطة بالجهاز العصبي والدماغ، وهذان عضوان ماديان محسوسان في أعضاء جسم الإنسان، ويبقى قبول ما يتعلق بها من نتائج محدود وضيق ومرتبطة بصحة التجارب وانطباق الشرط العلمي الصحيح عليها. ولا يمكن الاستدلال بتلك العمليات على وجود الحيز الذهني اللامحسوس الذي يطلقون عليه "اللاشعور" أو "اللاواعي" أو "العقل الباطن" أو ما يرتبط به من قوانين وخوارق وقدرات لا محدودة.

ثانياً: المذالقات العقدية:

- القول بأن الحالات النفسية اللاشعورية أو اللاواعية هي الأصل في الإنسان والمتحكمة في حياته، يخالف المعاني الشرعية التي جاءت بها الشريعة ودلت عليها النصوص التي تركز على أهمية الشعور والإدراك من أجل تنظيم الحياة النفسية، والفكرية، والجسدية، والمجتمعية تنظيمًا شاملاً، حيث أنه لا يوجد معنى من معاني الوجود، أو ظاهرة من ظواهره إلا وتكون لدى الإنسان القابلية للتعامل معها بعد إدراكها والشعور بها؛ لذا نجد أن الأحكام الشرعية مرتبطة بكمال عقل الإنسان، وكمال اختياره وقدرته، قال شيخ الإسلام -رحمه



الله:- "العبد له قوة الشعور والإحساس والإدراك، وقوة الإرادة والحركة، وإحدهما أصل الثانية مستلزمة لها، والثانية مستلزمة للأولى ومكملة لها"^١؛ وعليه فإن كمال الحياة مرتبط بقوة الشعور وقوة الإرادة، وهما دليل على قوة الحياة، وضعفهما دليل على ضعفها. فلا تخلو النفس البشرية من الشعور والإرادة وهما متلازمان، **يقول ابن تيمية -رحمه الله:-** "فإن الشعور والإرادة من لوازم حقيقتها، ولا يتصور أن تكون النفس إلا شاعرةً مريدة"^٢.

- الأصول الفلسفية المنحرفة؛ فمن خلال التتبع والاستقراء ثبت أن دراسة اللاشعور أو اللاواعي، والتقسيم الثلاثي للنفس البشرية ليس حديثاً، وليد العصور المتأخرة والدراسات العلمية الحديثة؛ بل قد ظهرت قديماً في الفلسفات الشرقية كـ (الهندوسية، والبوذية)، والفلسفة اليونانية كـ فلسفة (فيثاغورس وأفلاطون) وغيرها على اختلاف في تحديد المفهوم والوظائف المنسوبة إليه، كذلك استمر تناولها ودراستها في الفلسفات الغربية الحديثة. والمفهوم الفلسفي والأفكار التي يجسدها (جوزيف ميرفي) في كتاب (قوة عقلك الباطن) ترجع في أصولها إلى معتقدات فلسفية شرقية كـ فريجة، وإلى نظرتها المنحرفة والمخالفة للكون والوجود ولحقيقة الإله والإنسان.

- القول بقدرات العقل الباطن فيه رفع للإنسان فوق مقام العبودية التي خلُق لأجلها، إلى مقام الربوبية ومنازعة الخالق -جل وعلا- فهو قائم على عقيدة مركزية وهي الاعتقاد بتأليه الإنسان وقدراته اللامحدودة، وأن في داخله شرارة إلهية تمكنه من التصرف في هذا الكون، ما يلزم منه إضفاء صفات وخصائص

^١ مجموع الفتاوى، ٣٢ / ٤.

^٢ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ٤٦٤/٨.



الرب -تبارك وتعالى- من الخلق والملك والتدبير على العبد المخلوق الضعيف الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا نفعًا، **قال تعالى:** ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، **وقال تعالى:** ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١]، وهذه العقيدة - بلا شك - عقيدة كفرية مخالفة لأصل التوحيد وفيها طعن وشرك في ربوبية الخالق جل وعلا.

- القول بقدرته الإنسان على التحكم بحياته وحياته غيره، وتأثيره في قدره وقدر الآخرين؛ يوافق قول القدرية الذين ينكرون مرتبتي (الخلق والمشیئة)، فيلزم من قولهم إن الله تعالى لا يخلق مقادير الخلائق ولا قدرها بعينها. وبعض أقوالهم الأخرى توافق قول غلاة القدرية الذين أنكروا مرتبتي (العلم والكتابة)، فزعموا أن ما يقع في الكون لم يدخل في علم الله من قبل، ولم يسبق به كتاب.

وهذا بلا شك يقدر في الإيمان بالقدر، لأن كل ما يحدث في هذا الكون إنما هو بتقدير الله تعالى، وعلمه سبحانه أنه سيقع في أوقات معلومة، وصفاتٍ مخصوصة، قد شاءها سبحانه وكتبها، ووقعها لا يكون إلا على حسب ما قدره وخلقها، **قال تعالى:** ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، **وقال تعالى:** ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

قال بعض أهل العلم: "الإيمان بالقدر فرض لازم، وهو أن يعتقد أن الله تعالى خالق أعمال العباد، خيرها وشرها، كتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم، **قال الله:** ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]...والقدر سر من أسرار الله



لم يطلع عليه ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا، لا يجوز الخوض فيه، والبحث عنه بطريق العقل"¹.

- مخالفة مبدأ العمل والسعي والأخذ بالأسباب؛ فما ذكر في الكتاب وغيره من المؤلفات فيه تصريح واضح بترك العمل، وأن قوة التخيل والأفكار مؤثرة أكثر من إرادة الإنسان وعمله. وللازم ما يذكرونه من آليات وخطوات هو ترك العمل، والإعراض عن تحصيل الأسباب لنيل المطلوب، والالتكال على الأماني، والأحلام، والتوكيدات وهذا مخالف للشرع؛ لأن الله تعالى أمر بالعمل والسعي في الأرض، ورتب الرزق على بذل الأسباب وليس على الأماني والخيالات.

- التعلق بغير الله سبحانه وتعالى؛ حيث إن أصحاب فكرة "العقل الباطن" يعلقون مطالبهم بالعقل الباطن رغبة وسؤالاً وطلباً مع الاعتقاد بتأثيره ونسبة العطاء والإجابة له، فبدلاً من توجيه السؤال والطلب إلى الله جل وعلا، فإنهم يوجهون السؤال للعقل الباطن، وهو بدوره يستجيب -كما يزعمون- في مخالفة واضحة وصريحة لما تقرر في الشرع من وجوب صرف العبادات لله وحده ومنها الدعاء والسؤال والطلب، **قال تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 6].

- الانحراف في مصدرية المعرفة لتحصيل المعارف الغيبية؛ حيث تقوم فكرة الكتاب على فكرة الارتقاء بالوعي البشري حتى يصل إلى الاتصال بالوعي الكلي أو العقل العالي أو المصدر، للاطلاع على الغيب من أجل تغيير الأقدار، فمن خلال الاعتقاد بهذا العقل واستخدام قوته، يرتقي الإنسان تدريجياً،

¹ شرح السنة، البغوي، (1 / 142-144).



فتتطور قدراته حتى يستطيع فهم ما لم يكن يفهمه، ويعلم ما لم يكن يعلمه، ويرتقي بوعيه حتى تتجلى له المعارف وتتكشف عنه الحجب، ليصل للهدف الباطني، وهو الاطلاع على الغيب وكشف الأقدار والتحكم بالمصير الشخصي والعام.

ختامًا لا يسعني إلا أن أنبه القارئ الكريم بضرورة الاحتياط والحذر وعدم الانخداع بالعبارات الزائفة ك: (الثبوت العلمي، أو الدارسات الحديثة) وغيره، أو الأساليب الملتوية من الأسلمة الشوهاء التي ينتهجها البعض من خلال ربط الفكر الباطني بالمفاهيم والنصوص الشرعية في محاولة سقيمة لتمرير الأفكار الفلسفية المخالفة بل والمصادمة للدين، والمسقطة لهيبة النص فيه، ومن أمثلة ذلك ما نجده في النسخة المعربة من هذا الكتاب من إضافة بعض المفردات مثل: (الله، الدعاء، الصلاة، الدين...) وغيرها؛ لإضفاء نوع من القبول، والشرعية، ومحاولة لتحسين القبح الصريح والكفر البواح المبتوث في ثنايا هذا الكتاب.

هذا والله تعالى أجل وأعلم وأحكم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* هذا المقال يعبر عن وجهة نظر الكاتب ولا يمثل - بالضرورة - رأي الناشر.